مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

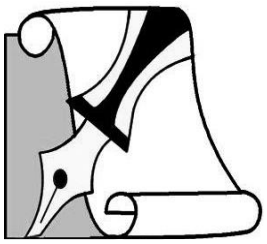

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

1 إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

نتنياهو ومعالم "الشرق الأوسط الجديد"

1 – مدخل:

لم يُفارق مصطلح "الشرق الأوسط الجديد"، القائم على تصفية القضية الفلسطينية والتطبيع الذليل والهيمنة الإسرائيلية، مخيّلة القادة الصهاينة قط. وهذا المصطلح لم يكن مجرّد رسم جغرافي، بل هو أظهر طموحات نتنياهو ورؤيته لما وصَفه بـ "محور النعمة"، الذي يضم الدول المُطبّعة، في مقابل "محور النقمة"، الذي يشمل دول المقاومة ورفض الاحتلال. وقد نشَر شمعون بيريس، وكان يومها وزيراً للخارجية الإسرائيلية عام 1992، أي قبل اتفاق أوسلو بعام، كتاباً بعنوان "الشرق الأوسط الجديد"، حلم فيه بسلام يجمع بين ما أسماه "العقل الإسرائيلي والمال العربي"، على حد تعبيره . وتخيّل بيريس شرق أوسط جديداً تقوده إسرائيل قائلاً: "لقد جرّب العرب قيادة مصر للمنطقة مدّة نصف قرن، فليجرّبوا قيادة إسرائيل إذن". وفي غضون ما سمّي "حرب لبنان الثانية" عام 2006، رفضت وزيرة الخارجية الأميركية، كونداليزا رايس، الدعوات لوقف إطلاق النار بعد مرور 33 يوماً من المعارك الطاحنة، ووصفت العنف الحاصل بأنه جزء من "آلام ولادة شرق أوسط جديد". وها هي الولايات المتحدة، بعد مرور 18 عاماً، تجد نفسها اليوم، من جديد، مُنساقة وراء السياسة التوسعية التلمودية لحكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي، بنيامين نتنياهو، لإعادة تشكيل صورة جديدة للشرق الأوسط تتناسب مع أحلامه الإجرامية التلمودية، الخارجة عن أي قانون أو منطق سياسي أو إنساني وأحلام الطغمة الفاشية والعنصرية المتعاونة معه، من أجل التوسع والسيطرة الجيوستراتيجية الكاملة على المنطقة. وفي ظل هذه المخطّطات، سيظل الشرق الأوسط عُرضة للخضّات الجيوسياسية والتوجهات الخطيرة. وكذلك هذه المرّة، اندلع الصراع الحالي نتيجة للهجوم المُباغت ل "حماس" بتاريخ 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، رداً على الحصار والتنكيل منذ أكثر من 17 عاماً، ما دفع الحكومة الإسرائيلية إلى تطوير استراتيجية عسكرية واسعة وعدوانية جداً، ليس فقط لهزيمة "حماس" وإعادة فرض السيطرة على غزة، ولكن أيضاً لإعادة تشكيل الشرق الأوسط، من خلال مواجهة محور المقاومة بقيادة إيران أولاً، ثم التوجّه لتغيير النظام في إيران نفسها. وبعد أشهر عديدة من الفشل بمحاولات وقف القتال، وجدت الولايات المتحدة نفسها تتماشى مع استراتيجية نتنياهو التحويلية هذه الأكثر

طموحاً وخطورة في تاريخ الكيان، وهو ما يمثّل جوهر المُدركات الصهيونية القائمة على فرض "السلام" المشوّه بالقوّة.

قبل عملية "طوفان الأقصى" بأسبوعين، عرَض بنيامين نتنياهو، في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، خريطة متخيّلة للشرق الأوسط الجديد، تُهيمن فيه دولة الاحتلال على المنطقة عقب عمليات تطبيع مجانيّة وذليلة مع عدد من دول العالم العربي. وبعد مرور عام على حرب الإبادة الاستعمارية الإسرائيلية – الأميركية على غزة وتدحرجها إلى لبنان، عاد نتنياهو إلى المنبر الأممي نفسه بخرائط جديدة للشرق الأوسط المتخيّل تحت الهيمنة الاستعمارية الصهيونية – الأميركية الكاملة. ففي ظل التفرّد الأمريكي في عصر الأحادية القطبية، تعاظمت المخيّلة الإمبريالية الجامحة للمحافظين الجدد بتغيير الشرق الأوسط ورسم خرائط جيوسياسية جديدة. وكانت شكّلت ذريعة "محاربة الإرهاب" فرصة سانحة للمحافظين الجدد بقيادة جورج بوش الابن لتغيير ملامح المنطقة، بغزو أفغانستان ثم العراق؛ لكن أسفرت المغامرة الإمبريالية الأمريكية هذه عن فشل ذريع وانتهت بهزائم مذلّة. وفي مُحاكاة بليدة، استغلّ اليمين الاستعماري الصهيوني بقيادة نتنياهو هجوم المقاومة الفلسطينية في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، لخلق شرق أوسط جديد، عبر شن حرب إبادة على غزة ثم لبنان.

إنّ غرام نتنياهو بالخرائط الجيوستراتيجية الجديدة يكشف عن ذهنية ذات سردية استعمارية خالصة. فإبّان حقبة التوسع الاستعماري الأوروبي، استخدمت أوروبا الاستعماريّة صناعة الخرائط باعتبارها أداة فعّالة لفرض الهيمنة وتوسيع النفوذ، وإعادة تشكيل الجغرافيا السياسية لأماكن عدّة في العالم.

2 – خرائط إسرائيلية جديدة للمنطقة:

تحارب "إسرائيل" منذ أكثر من عام على عدّة جبهات في آن واحد، شملت لبنان وغزة والضفة الغربية واليمن والعراق وسوريا، فضلاً عن استهداف قيادات عسكرية إيرانية. وقد تردّدت عبارة "رسم شرق أوسط جديد" مؤخّراً على ألسنة العديد من المسؤولين الإسرائيليين، وأبرزهم رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو. وإعادة ترتيب موازين القوى ورسم خريطة سياسية جديدة للمنطقة ليس هدفاً إسرائيلياً جديداً؛ ولكن ثمّة من يرى من كبار المسؤولين الإسرائيليين أنه "بات أقرب للتطبيق من أي وقتٍ مضى" إثر عودة دونالد ترامب لرئاسة الولايات المتحدة، وفي ظل التطورات المتسارعة والمواجهات المستمرة مع ما يُعرَف بـ"محور المقاومة". وتكرّر مشهد ظهور مسؤولين إسرائيليين وهم يحملون خرائط جديدة موسّعة لإسرائيل في محافل دولية، واللافت أن جميعها تضم الضفة الغربية

ومناطق من لبنان وسوريا، وتخلو من أي إشارة لدولة أو أراضٍ فلسطينية. وتثير الأصوات المتطرّفة داخل الحكومة الأكثر يمينية في تاريخ الكيان، مثل سموتريتش وبن غفير، مخاوف مما يسمّيه البعض "التطلعات التوسعية نحو ما يُعرَف بـ"إسرائيل الكبرى". وفي السياق، حذّر الرئيس التركي رجب طيّب أردوغان مما سمّاه "الطموحات التوسعية الإسرائيلية"، وقال: "سيطمعون في أراضي وطننا بين دجلة والفرات، ويُعلنون صراحة من خلال خرائط يلتقطون الصور أمامها أنهم لن يكتفوا بغزة." ولا تُخفي "إسرائيل" نواياها بشأن تمديد مشروعها الاستيطاني في المرحلة الراهنة، وخاصة في الضفة الغربية، وهي أعلنت عن نيّتها مضاعفة عدد المستوطنين هناك إلى أكثر من مليون، رغم ما يلقاه ذلك من انتقادات عربية ودولية.

3 – ضم الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967

يعتبر نتنياهو نفسه المؤسّس الثالث لـ "إسرائيل". ورغم أنه يرى في الحرب الحالية تهديداً وجودياً، لكنه أيضاً يعتبرها فرصة سانحة لخلق واقع استراتيجي جديد كان يراوده قبل "طوفان الأقصى". ففي خطابه أمام الأمم المتحدة في 22 سبتمبر 2023، بشّر نتنياهو بشرق أوسط جديد، فقال: "كانت اتفاقيات إبراهام محوراً للتاريخ. فقد أبرمت إسرائيل أربع اتفاقيات سلام في أربعة أشهر عام 2020 مع أربع دول عربية: الإمارات والبحرين والسودان والمغرب. إنّنا على أعتاب اختراق أكثر دراماتيكية: سلام تاريخي مع السعودية سيقطع شوطاً طويلاً نحو إنهاء الصراع العربي– الإسرائيلي، وسيشجّع الدول العربية الأخرى على تطبيع العلاقات مع إسرائيل، ومصالحة أوسع بين اليهودية والإسلام، بين القدس ومكّة، بين أحفاد إسحاق وأحفاد إسماعيل. في قمّة العشرين، أعلِن عن خُطط لممر يمتد عبر الجزيرة العربية وإسرائيل، يربط الهند بأوروبا، ويتجاوز نقاط الاختناق البحرية، ويخفّض تكاليف السلع والاتصالات والطاقة لأكثر من ملياري شخص. إنه تغيير تاريخي لإسرائيل التي تقع على مفترق الطرق بين إفريقيا وآسيا وأوروبا، ويمكن لها أن تصبح جسراً للسلام والازدهار بين هذه القارّات". وقد شرد الخيال باليمين الفاشي المتطرف، على لسان سموتريش، في الحديث عن إقامة إسرائيل الكبرى؛ فلا شئ اسمه الشعب الفلسطيني، والقدس حدودها عند دمشق، وحدود إسرائيل تشمل الأردن وأراض من مصر والسعودية والعراق وتركيا.

إذاً، يريد نتنياهو شرق أوسط جديد تكون "إسرائيل" القوّة المحورية فيه، ومفتاحه السياسي والاقتصادي والأمني، وتُعاد فيه هندسة الأفكار والثقافات والتوجهات والخطاب الديني ومناهج التعليم بما يخدم السلام القهري المزعوم.

شرق أوسط جديد لا عزاء للفلسطينيين فيه: إمّا أن يكونوا تروساً في ماكينة السلام الإسرائيلي؛ أو أن يواجهوا ما يواجهونه اليوم من دمار وموت بآلة القتل الإسرائيلي والصمَم العربي والإسلامي والدولي.

في الخرائط التي عرَضها بنيامين نتنياهو في الأمم المتحدة، لم يكن هناك تحديد للحدود الجغرافية لغزة والضفة والقدس، بما يعني الضم الشامل لكلّ الأراضي المحتلة، وإلغاء حلّ الدولتين. وفي هذه الأثناء كان إصرار الشعب الفلسطيني على المقاومة هو الخطر الأكبر الذي يهدّد أحلام نتنياهو الوردية منذ فترة طويلة، وهو سعى بالقوّة للتخلّص منه. وفي السياق، قال العقيد احتياط رافائيل بوشنيك في مقال له بعنوان: "معضلة ضم غور الأردن"، مركز بيغين السادات للدراسات الاستراتيجيةBESA ، 13 مايو/ أيار 2020: "يرى نتنياهو أن غور الأردن له أهمية قصوى في سياق أمن إسرائيل. فالشرق الأوسط غير مستقر وعنيف، وغور الأردن هو حزام دفاعي استراتيجي للدولة. وبدونه، يمكن أن يصل الطوفان الأصولي إلى إسرائيل حتى منطقة تل أبيب الكبرى". لكن جاء الطوفان من غزة يوم السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ بعد أن ظنّ أنه قد نجح في تقليم أظافر "حماس" وإشغالها بالمشاكل الاقتصادية والحياتية المعقّدة التي تسبّب بها الحصار الإسرائيلي الخانق للقطاع . ومازالت الضفة الغربية برميل بارود قد ينفجر في أي وقت. وفي السياق، يقول عيران لاهاف في 24 أغسطس/آب 2024 على موقع المنتدى الإسرائيلي للدفاع والأمن IDSF تحت عنوان"طولكرم: عاصمة الإرهاب الناشئة": في مخيّمات اللاجئين، استمرت أعشاش المقاومة في التنظيم بشكل كبير في الأشهر الأخيرة. وهذه المخيّمات قريبة جداً من المدن الإسرائيلية الرئيسة. وبغضّ النظر عن العمليات والاعتقالات بالآلاف التي يتم تنفيذها، فإن المقاومين في الميدان يعملون بنجاح على تحسين أساليب عملهم التي أصبحت أكثر تعقيداً، بحيث أن أي صبي يبلغ من العمر 15 عاماً أو أكثر يمكن أن يكون مقاوماً يُعرّض القوات المحتلّة للخطر. ومنطقة الضفة هي بالتأكيد برميل بارود وساحة معركة كبرى تذكّر إسرائيل باستعدادات حماس ليوم 7 أكتوبر"؛ ويضيف: "الحرب الحالية هي أخطر ما واجهته إسرائيل منذ عام 1948. فهي تشكّل منزلقاً استراتيجياً خطيراً يتوقف عليه مستقبلها ووجودها". وهذا ما أكّده الكاتب أودي ديكل في مقاله: "خطّة الجنرالات: الاتجاه الصحيح والاتجاه الخاطئ"، معهد دراسات الأمن القوميINSS ، 15 أكتوبر/ تشرين الأول 2024، والذي أجْمَل فيه الوضع فقال: " تواجه إسرائيل، وعلى مدار عام، منذ 7 أكتوبر 2023 حرب استنزاف مستمرة متعدّدة الساحات، كان فيها قطاع غزة هو الساحة الرئيسة. ثم في 19 أيلول/سبتمبر 2024 أصبح لبنان هو الساحة الرئيسة؛ ومن المرجّح أن تكون إيران هي التالية. ويهدف أعداء إسرائيل إلى تدميرها وتحدّي شرعيتها. وإسرائيل تستمر في الحرب من دون

أهداف سياسية واضحة أو استراتيجية خروج؛ ويشير المسار العام إلى حرب إقليمية مطوّلة، مع تحرّك إسرائيل بسرعة نحو عزلة دولية واسعة النطاق". ويتابع: "إن أعداء إسرائيل هم جهات فاعلة شبه حكومية تحرّكها أيديولوجية دينية لا تعترف بحق إسرائيل في الوجود، ممّا يجعل الاتفاقات السياسية طويلة الأجَل صعبة، إن لم تكن مستحيلة. وهذا في مقابل فشل النظام الدولي بالعمل بفعالية نظراً لغياب التواصل الإيجابي بين القوى العظمى في فرض وقف لإطلاق النار وضمان أمن إسرائيل."

من ناحية أخرى، تقف "إسرائيل" على شفا صراع مباشر مع إيران، أقوى عدو لها، والتي هدّدت صراحة بأن أي عمل عسكري متطرف عليها من جانب إسرائيل سيُجبرها على اعادة النظر بتطوير قدرات نووية عسكرية، في حين رفضت "إسرائيل" كل مبادرة لإنهاء الحرب، بما فيها إعلان الدول العربية في الأمم المتحدة عندما قال وزير الخارجية الأردني: "نحن هنا، أعضاء اللجنة العربية المسلمة، بتفويض من 57 دولة عربية وإسلامية، إننا جميعاً على استعداد لضمان أمن إسرائيل في سياق إنهائها للاحتلال والسماح بدولة فلسطينية ." وتنظر الحكومة الإسرائيلية الحالية إلى أن مجرّد إقامة دولة فلسطينية هو بمثابة تهديد وجودي لـ "إسرائيل". لذا، تواصل حربها في غزة، وتمنع السلطة الفلسطينية من العودة للسيطرة على القطاع.

4 – فشل التكنولوجيا:

في مقال له على موقع معهد القدس للاستراتيجية والأمنJISS ، 27 أغسطس آب 2024، وعنوانه: "لا يمكن لأي تكنولوجيا أن تحل محل الجيش الإسرائيلي على الحدود بين غزة ومصر"، يرفض هيلل فريش الاكتفاء بالتدابير التكنولوجية على الحدود لتوفير الأمن لإسرائيل، ويعلّل رأيه بما يلي:

1 – عدم فعالية الدفاعات الثابتة، كالأسوار، ضدّ خصم بشري يراقب ويتعلّم ويتكيّف ويبتكر، مثلما فعلت "حماس" في 7 أكتوبر. فالصورة الأيقونيّة لجرّار وحيد يفكّك السياج الأمني عند مستوطنة بئيري، تليها موجات المقاتلين، دليل قوي على عدم كفاية الحلول التكنولوجية ضدّ الإبداع البشري.

2 – صعوبة الصيانة والمحافظة على الدفاعات الثابتة المزوّدة بأجهزة استشعار وكاميرات متطورة. وهنا يكمن التحدي: كيف سيُحافظ الجيش الإسرائيلي على سياج متقدّم على طول محور فيلادلفي بعد الانسحاب من غزة؟ وكيف سيتم الكشف عن أنفاق التهريب الجديدة التي تمر تحت السياج؟

3 – هل ستكون إسرائيل قادرة على الرد بفعالية في ظل قيود اتفاق وقف إطلاق النار إذا دمّرت "حماس" تدريجياً الحواجز الأمنية على طول الحدود بين غزة ومصر، مما يسمح باستئناف تهريب الأسلحة؟

4 – سيشكّل الانسحاب الإسرائيلي انتصاراً لحماس، وستكون صورة آخر دبّابة ميركافا تعبر السياج المدمّر إلى إسرائيل رمزاً لأوّل انتصار عربي حاسم في تاريخ الصراع، مما يُعزّز مكانة "حماس" ويُضعف بشدّة التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة مع إسرائيل والدول العربية المعتدلة.

وبالطبع، فإن ما ذكره فريش ينطبق في التفكير الأمني الإسرائيلي على الضفة الغربية، والحدود الأردنية – الفلسطينية، وحزب الله في جنوب لبنان، وعلى تفكير إسرائيل في مد تواجدها الأمني داخل الأراضي السورية. تجفيف منابع حزب الله وإضعاف الحاضنة الشعبية.

5 – تدمير وتهجير:

تواصل تل أبيب مجازرها وجرائمها مُتجاهلة قرار مجلس الأمن الدولي بإنهائها فوراً، وأوامر محكمة العدل الدولية باتخاذ تدابير لمنع أعمال الإبادة الجماعية وتحسين الوضع الإنساني الكارثي بغزة. وفي أعقاب هجوم حركة حماس في السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، حوّل بنيامين نتنياهو غزة إلى أنقاض، وشرّد سكّانها وقصَفهم وجوّعهم وحرَمهم من إنسانيتهم، ثم انتقل شمالاً لخوض حربه الطاحنة مع حزب الله ، وقصَف ميناء الحديدة لمعاقبة الحوثيين، وضرَب مخازن الأسلحة والمسلّحين في سوريا. وأحد أقذر الأسلحة التي استخدمها نتنياهو في الحرب الحالية سلاح إبادة البشر والحجر والتجويع ومنع كافة الخدمات الأساسية عنهم. وأضيفت مؤخراً "خطّة الجنرالات"، التي تنفّذ في شمال غزة، والتي كشفها الكاتب رابوبورت في مقاله: "خطّة لتصفية شمال غزة تكتسب زخماً، مجلة +972، 17 سبتمبر/ أيلول 2024، فقال إن الخطة اقترحها "منتدى قادة ومُقاتلي الاحتياط"، بقيادة اللواء احتياط غيورا آيلاند، قبل بضعة أسابيع فقط، وتنفّذها إسرائيل الآن؛ فإما أن يغادر سكان شمال غزة في غضون أسبوع، أو يتم فرض حصار كامل على المنطقة، بما في ذلك قطع جميع إمدادات المياه والغذاء والوقود، حتى يستسلم أولئك الذين يبقون أو أن يموتوا جوعاً.

ولا ينفصل المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني وطموحاته بصناعة شرق لأوسط جديد عن المشروع الأمريكي. ففي ظل التفرّد الأمريكي في عصر الأحادية القطبية، تعاظمت المخيّلة الإمبريالية الجامحة للمحافظين الجدد بتغيير الشرق الأوسط ورسم خرائط جديدة؛ وشكّلت هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001

تحت ذريعة "حرب الإرهاب"، فرصة سانحة للمحافظين الجدد بقيادة جورج بوش الابن لتغيير الشرق الأوسط بغزو أفغانستان ثم العراق. وقد أسفرت المغامرة الإمبريالية الأمريكية في أفغانستان والعراق عن فشل ذريع وانتهت بهزائم مُذلّة. وفي مُحاكاة بليدة، استغل اليمين الاستعماري الصهيوني بقيادة بنيامين نتنياهو هجوم المقاومة الفلسطينية في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023 لخلق شرق أوسط جديد، عبر شن حرب إبادة على غزة ثم لبنان تحت ذريعة "حرب الإرهاب".

6 – "إسرائيل" والمستنقع اللبناني:

في غضون النجاحات التكتيكية التي حقّقها بنيامين نتنياهو في لبنان وفلسطين، لم يسمح لأحد أن ينسى أن هدفه الأوّل هو ضم الضفة الغربية المحتلة، حيث تضاعفت عمليات الاغتيال وتدمير قرى بأكملها ومصادرة الأراضي، تمهيداً لضم كامل يشمل ترحيل ملايين الفلسطينيين إلى شرق نهر الأردن ومناطق أخرى. وأعلن عن رغبته بإقامة دولة دينية يهودية دكتاتورية خالصة تمتد من العراق إلى مصر.

في المقابل، يشير التصعيد الإسرائيلي للعدوان في قطاع غزة وجنوب لبنان وبقاعه والضاحية الجنوبية لبيروت، بأن بنك الأهداف العسكرية قد بات يشمل أهدافاً عشوائية، يقتصر الهدف الأساسي منها على الانتقام والتدمير والتهجير والخلط الديموغرافي وزرع الفتن الطائفية. ومعلوم أن الإسرائيلي قد اعتاد عندما ينفّد بنك أهدافه العسكرية أن يلجأ لتنفيذ استهدافات تدميرية لتسهيل تنفيذ مخطّطين: الأوّل هو مخطط تدمير القرى الحدودية، وهذا الأمر مرتبط بحرق هذه الأرض وجعلها صعبة للحياة بهدف استثمارها في المفاوضات من جهة، ولكي يتحدّث من خلالها عن تحقيق إنجاز يجعل المستوطنين يتشجّعون على العودة إلى مستوطنات الشمال. والمخطّط الثاني يهدف إلى استثمار الضغط الحاصل، عبر رفع كلفة إعادة الإعمار وتوابعها إلى أقصى الدرجات، وإطالة أمَد النزوح الذي تحوّل إلى ملف شائك وبالغ الصعوبة، من أجل فرض شروطه التعجيزية. والعدو قسّم جنوب لبنان إلى "مربّعات"، لاستنزاف بيئة المقاومة والسعي لإنشاء منطقة أمنية عازلة داخل الأراضي اللبنانية. وفي ظلّ هذه المعمعة، تصاعد الكلام عن مخطّط لتهجير الشيعة وعن تغيير ديمغرافي وعن افتعال مشاكل مذهبية وطائفية في الداخل اللبناني، وصولاً الى فتنة الحرب الاهلية، لأنّ الحرب البريّة والجويّة لوحدها لم تساعده لإحراز ما يسمّيه "النصر الحاسم". وتدمير البيئة الشيعية الحاضنة للمقاومة لا ينحصر بإبعاد الصواريخ عن مستوطنات الشمال الإسرائيلية والسماح لسكّانها بالعودة إليها، بل هو في عمقه تغيير للخريطة الديموغرافية

والجيوسياسية اللبنانية، وإضفاء المزيد من الهشاشة والاضطراب عليها لآجال بعيدة، لا سيما أن العدو يعتبر النموذج اللبناني بالتعايش المشترك نقيضًا لأحاديّته وعنصريّته وتهديداً لوجوده. وفي ضوء ذلك ظهرت "إسرائيل"، بسبب وحشيّتها المفرطة، على أنها عبء سياسي وأمني ومالي وأخلاقي على الحضارة والدول الغربية، وعلى اليهود في مجتمعات تلك الدول. أما الوجه الآخر لجبروتها هذا، فيكمن في استحالة تمكّنها من تطبيع وجودها في المنطقة؛ وهي خسرت أيضاً مكانتها كملاذ آمن ليهود العالم، وباتت قطاعات من يهود الدول الغربية تدين سياساتها وترفض الربط بين معاداة السامية ومعاداتها . وإذا كانت "إسرائيل" غير قادرة على التصالح مع الفلسطينيين حتى من مواطنيها في أراضي 1948، فإنها من باب أولى غير قابلة للتطبيع مع محيطها العربي، ولا التطبيع حتى مع ذاتها مع التناقضات الكامنة فيها، بين الشرقيين والغربيين، والمتدينين والعلمانيين والمستوطنين الجدد والمستوطنين القدماء.

في مقال بعنوان "العملية البريّة للجيش الإسرائيلي في لبنان"، معهد دراسات الأمن القوميINSS ، 14 أكتوبر/ تشرين الأول 2024، قال الباحث عوفر شيلح: "يمثّل الوضع في الشمال مع حزب الله فشلاً استراتيجياً لم يسبق له مثيل في تاريخ إسرائيل. فعلى الرغم من التكتيكات الناجحة للقيادة الشمالية، فقد فقَدت إسرائيل جزءاً كبيراً من أراضيها، وأصبح سكّانها لاجئين داخلها. وخلافاً للوضع مع "حماس"، لا يمكن للجيش الإسرائيلي فرض هزيمة عسكرية على حزب الله من خلال الاستيلاء على أراض واسعة في لبنان والبقاء هناك فترة طويلة من الزمن. وفي كل خيارات الحرب البريّة، محدودة أو موسّعة، لا يوجد حل لتهديد الطائرات بدون طيّار والصواريخ الموجّهة بدقّة التي تستهدف الجبهة الداخلية الإسرائيلية.

ولتحقيق الشرعية الدولية لعمليات الجيش الإسرائيلي ومنعه من أن يصبح راسخاً في "منطقة أمنية" طويلة الأجَل غير مخطّط لها، يجب أن يقترن الجهد العسكري بجهد دبلوماسي للتوصل إلى ترتيب تنفيذ القرار 1701 المعدّل، بشكل يغيّر الوضع في جنوب لبنان جذرياً، ويمكّن من عودة مستوطني الشمال. وفي أي ترتيب من هذا القبيل، تصر إسرائيل على الشروط التالية:

تدمير البنية التحتية لحزب الله بالقرب من الحدود تحت إشراف إسرائيلي؛ تعزيز الوجود الدولي لقوّات البلدان الملتزمة بهذا الترتيب؛ وحريّة العمل الإسرائيلية لمنع حزب الله من العودة تدريجياً إلى مواقعه السابقة، مع سياسة إطلاق نار وإجراءات عدوانية استباقية لمنع ذلك.

وفي مقال له بعنوان "على إسرائيل ضرب المحيط الشيعي الذي يجنّد منه حزب الله مقاتليه، معهد القدس للاستراتيجية والأمنJISS ، 1 أكتوبر/ تشرين الأول 2024، يقول هيلل فريش: يعتمد حزب الله في تجنيد مقاتليه على الأطراف الشيعية في الجنوب والضاحية وبيروت الكبرى، حيث يقيم معظم السكّان الشيعة. ويرى أنه يجب على إسرائيل سحق الأطراف وتدمير البنية التحتية لدفع الشيعة للهجرة منها، واقتطاع ثمن من لبنان من خلال تدمير بيروت، واستهداف الضاحية، موطن قيادة حزب الله، ولقُربها من المطار الدولي الوحيد في لبنان وميناءه البحري الرئيسي، وهما وسيلتان حاسمتان لنقل الأسلحة من إيران والحفاظ على العلاقة بين قيادة حزب الله ورُعاته الإيرانيين. ويضيف غابي سيبوني في مقال له بعنوان "الحملة الشمالية وإيران"، معهد القدس للاستراتيجية والأمنJISS ، 1 أكتوبر تشرين الأول 2024: عزل منطقة القتال في الجنوب عن شمال لبنان، وتأمين منطقة عازلة عبر الحدود والسيطرة على المناطق الاستراتيجية على الجانب الآخر من الحدود، إخراج قوّات حزب الله من الجنوب إلى شمال نهر الليطاني، وتغيير الوضع في لبنان بشكل جذري، من خلال ضربات واسعة النطاق على البنية التحتية في لبنان في جميع أنحاء البلاد، لخلق وضع يؤدّي إلى الضغط على إسرائيل لوقف هجماتها. ويمكن لإسرائيل حينئذٍ أن تطالب بتدخّل دولي لتفكيك نفوذ حزب الله في لبنان باعتباره أقوى وكيل لإيران.

7 – على صخرة الصمود والمقاومة تتحطّم أحلام نتنياهو:

يقول ميرون رابوبورت: "على الرغم من أوامر الإخلاء التي أصدرها الجيش، لا يزال حوالي ثلاثمائة ألف فلسطيني بين أنقاض مدينة غزة وضواحيها، رافضين المغادرة. ربما بقوا لأنهم رأوا ما حدَث لجيرانهم الذين غادروا في بداية الحرب، مُعتقدين أنه كان إخلاء مؤقتاً، والذين يتجوّلون حتى يومنا هذا في جنوب غزة دون مكان آمن للاحتماء؛ أو ربما لأنهم يشعرون أنه لم يعد لديهم ما يخسرونه ."

إن الإجرام الصهيوني يخلق لدى الشعب الفلسطيني شعوراً جارفاً بالتحدّي والثأر، ليس في غزة وحدها، وإنما في فلسطين وما حولها. ونذكر هنا نموذجاً واحداً، وهو الشهيد جبريل جبريل، البالغ من العمر سبعة عشر عاماً، أي طفل حسب القانون الدولي، والذي أُطلق سراحه في صفقة تبادل رهائن في نوفمبر/ تشرين الثاني 2023. يقول الصحفي أوميت سيجال، في صحيفة يديعوت أحرونوت، 30 أغسطس آب 2024، في مقال بعنوان "خطّة عدم الاشتباك": أيّدت الغالبية العظمى من الجمهور والكنيست والحكومة صفقة إعادة أكثر من مائة

مختطف بنسبة ثلاثة مقاومين فلسطينيين "سهلين" إلى كل رهينة إسرائيلية. وكان من المفرَج عنهم جبريل جبريل ، الذي قال شقيقه: إن جبريل شعر ب "دَيْن" للشخص الذي تسبّب في إطلاق سراحه، وهو دَيْن لن يتم سداده إلّا عندما يصبح شهيداً. وعندما غادر المنزل، سأله والدي: "هل أنت متأكد من الطريق الذي تريد أن تسلكه؟" أجاب جبريل: الآن يجب أن أسدّد ديوني. الحمد لله، قبله الله واستشهد... سيأتي ألف آخر مثل جبريل."

هذا المعنى المهم أكّده أيضاً إبراهام بورغ ، رئيس الكنيست الأسبق، فكتَب أثناء الانتفاضة الثانية في صحيفة الجارديان عام 2003، تحت عنوان "نهاية الصهيونية": "بعد أن توقّفت إسرائيل عن الاهتمام بالأطفال الفلسطينيين، يجب ألّا تتفاجأ عندما يفجّرون أنفسهم في مراكز الهروب الإسرائيلي، لأن لديهم أطفالًا وآباء يُعانون من الجوع والإذلال في المنزل. قد نقتل منهم قائداً كل يوم، لكن سينبت آلاف القادة من آبار الكراهية التي حفرناها.."

وفي مقال له بعنوان "شرق أوسط جديد ما زال بعيد المنال، معهد القدس للاستراتيجية والأمنJISS ، 15 أكتوبر تشرين الأول 2024، يخلص إفرايم عنبار إلى أنه: "سيتعيّن على إسرائيل أن تعيش بسيفها لسنوات عديدة قادمة، وأن التفكير في إعادة تشكيل وبناء شرق أوسط جديد من خلال القضاء على حماس وحزب الله ومحور المقاومة هو تفكير بالتمنّي مصيره الفشل"؛ ويعلّل ذلك بما يلي:

1 . فشلت سيناريوهات ورديّة مماثلة عقب حرب الخليج عام 1991، واتفاقات أوسلو عام 1993، والربيع العربي عام 2011.

2 . من السذاجة الاعتقاد بأن حدَثاً واحداً يمكن أن يحوّل المشهد السياسي لمنطقة بأكملها.

3 . فشلت الجهود الأمريكية في إعادة تشكيل السياسة والمجتمع في المنطقة؛ وأثبت الشرق الأوسط مقاومته بشكل ملحوظ للتدخلات الخارجية الرامية إلى تغيير أساليبه.

4 . تجاهلت محاولات أميركا لإضفاء الطابع الديمقراطي على العالم العربي حقيقة مفادها أن أوروبا استغرقت قروناً لتطوير ثقافة سياسية ديمقراطية، ولا تزال بعض الديمقراطيات الأوروبية هشّة.

5 . يجب أن يتغلّب "الشرق الأوسط الجديد" على تحديات المنطقة التي تمزّقها الصراعات. فقد رُسِمت حدودها من قِبل القوى الاستعمارية، وأثّرت النزاعات الحدودية على العلاقات بين دولها. كما أن العديد من هذه الدول ليست مُتجانسة عِرقياً؛ وتظل الولاءات القَبلية والعشائرية أقوى من هويات الدولة، مما يزيد من تقويض الاستقرار

الدولي. وبالتالي إن كان نتنياهو يمثّل قمّة المشروع الصهيوني، إلّا أنه يقف به على حافة الهاوية. وقد يكون حلمه في التأسيس الثالث للكيان عبر الشرق الأوسط الجديد هو بداية النهاية.

6 . تُظهر الثقافة السياسية العربية وانتشار المليشيات المسلّحة والحروب الأهلية أوجه قصور كبيرة في بناء الدولة، أهمها عدم القدرة على فرض احتكار القوّة داخل أراضيها، مما يجعلها عرضة للتدخّل الأجنبي.

7 . لا يزال الدين يؤدّي دوراً مركزياً في تشكيل السلوك السياسي في الشرق الأوسط وظهور منظمات المقاومة. وتقع الرسائل الإسلامية المتطرفة على آذان يقظة، مما يؤدّي إلى السلوك المتطرف.

8 . الانقسام السنّي –الشيعي هو مصدر رئيس آخر للخلاف في الشرق الأوسط. ولا تزال الهوية الدينية تحمل أهمية كبيرة، وغالباً ما يتم استغلالها للتسلّل السياسي.

9 . عدم ارتياح العرب لوجود دولة يهودية بينهم هو سمة ثقافية وسياسية دائمة، ويؤجّج الصراع العنيف.

10 . لا يزال الشرق الأوسط مصدراً محتملاً للتنافس النووي.

8 – خاتمة:

مشروع "الشرق الأوسط الجديد" ليس مجرّد خطة لتحقيق مصالح اقتصادية وسياسية، بل هو مشروع طويل الأمَد يهدف إلى أسرلة المنطقة وتثبيت "إسرائيل" كقوّة مُهيمنة فيها. ويعتمد هذا المشروع على تقسيم الدول العربية وإضعافها، والسيطرة على مواردها الطبيعية، وإعادة صياغة التحالفات السياسية فيها بما يخدم أهداف الغرب و"إسرائيل". وفي ظلّ اشتداد الحرب الحالية المتعدّدة الجبهات واتساعها، واحتمالات تحوّلها إلى حرب إقليمية، وحملة الإبادة والتطهير العرقي التي تشنّها "إسرائيل" بشكل أساسي على غزة ولبنان، ومحاولة تركيع حماس وحزب الله، وخلق واقع جيواستراتيجي وأمني جديد، تكثر الأسئلة: ما الذي يريده نتنياهو؟ وما هي أهدافه الحقيقية من الحرب؟ وما هي الاستراتيجيات التي يستخدمها؟ وهل سينجح في تحقيق أحلام اليقظة التي تُراوده؟

ثمّة خطّ سياسي متطرّف وقوي جداً في "إسرائيل" يدعو، بدعم أميركي كامل وفاضح، في المرحلة الحالية من الصراع، لأولوية تعويض ضيق عمق "إسرائيل" الاستراتيجي باحتلال مساحات جديدة من أراضي دول عربية، أوّلها فلسطين والأردن ولبنان وسوريا، أو تغيير النظام فيها. ومفهوم "العمق الاستراتيجي الحيوي"، كما كان يقول هتلر، هو من أهم المفاهيم المتحكّمة بالنظريات الأمنية الإسرائيلية المعاصرة. والنصر الاستراتيجي للعدو في هذا المجال هو النجاح في شل قدرات محور المقاومة، وتفكيك قواه، وعزله سياسياً واجتماعياً، وخلق أمر واقع

طويل الأمَد لغير صالحه، واستغلال هذه الفترة لتصفيته على مراحل متلاحقة. أما النصر الاستراتيجي لهذا المحور، فيتمثل في الاحتفاظ بقوّته وقدرته على التصدي لتهديد العدو، وتثبيت وضعيته السياسية وشرعيته الوطنية، لإفشال مخطّطات العدو الإجرامية التوسعية. وفي السياق يقول البروفسيور أفرايم عنبار، رئيس معهد القدس للاستراتيجيات والأمن: "إن الدرس الذي يجب أن تتعلّمه إسرائيل من كل ما حصل هو أنه سيتعيّن عليها أن تعيش بسيفها لسنوات عديدة قادمة. في حين أن فترات انخفاض التوتّرات، مثل تلك التي تتمتّع بها مع مصر والأردن، مُمكنة بالتأكيد، إلّا أنها لا تعكس علاقة ثنائية مختلفة نوعياً، مثل العلاقة بين كندا والولايات المتحدة. ويمكن أن يحدث الانتقال من علاقة غير عنيفة إلى صراع مسلّح بسرعة، ويجب أن تكون إسرائيل مستعدة لهذا الاحتمال". ويستخلص بالتالي أنه: "إن كان نتنياهو يمثّل قمّة المشروع الصهيوني، إلّا أنه يقف به على حافة الهاوية. وقد يكون حلمه في التأسيس الثالث للكيان عبر الشرق الأوسط الجديد هو بداية النهاية". وهذه النتيجة عبّر عنها الكاتب اليهودي توماس فريدمان، وفق ما نشرته عنه صحيفة "هآرتس" في 24 مارس آذار 2024 تحت عنوان: "نتنياهو سيُذكَر كأسوأ قائد في التاريخ اليهودي"؛ فقد شهدت إسرائيل في عهده أسوأ كارثة في تاريخها، وأكبر صدمة نفسية تلقّتها".